الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990

الفوانيس

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

الغدير والوحدة الاسلامية

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي ـ لبنان

شارك سماحة الشيخ شمس الدين في مهرجان الغدير الذي اقيم في لندن والقى صبيحة يوم ١٩ ذي الحجة ١٤١٠ هـ الموافق ١٢ تموز ١٩٩٠م ، كلمة تحليلية سياسية عقائدية حول المتغيّرات الدولية ، واثرها على الامة الاسلامية ، من جهة ، وعلاقة وحدة الامة الاسلامية بالخلاف حول مسالة الامامة والخلافة ، وطرح من خلال كلمته نظريته حول مسالة الوحدة الاسلامية مؤكداً في ختامها على المردود العملي لمناسبة يوم الغدير ، باتخاذها منطلقاً لحل الخلافات داخل جسم الامة الاسلامية من جهة ، ولمواجهة التغيرات الدولية العاصفة من جهة ثانية ، وذلك بالتوظيف العميق لنهج صاحب المناسبة وقيمه عليه السلام ، وفيما يلي اهم ماجاء فيها :

«لا أستطيع ان افهم هذا المهرجان على انه مهرجان شيعي ، أو حتى مهرجان اسلامي وان قام به المسلمون ، وشارك فيه المسلمون ، وانما هو خطاب الاسلام من خلال علي الى الانسانية كلها . . الانسانية التي تبحث عن حقوقها في (ميثاق هلسنكي) الذي لم ينفّذ إلاّ للظالمين على حساب الشعوب المقهورة في جميع العالم الثالث .

لان علياً (عليه السلام) ليس رجل شيعة فقط ، هو في العقيدة والانتماء والحياة والاستشهاد في المحراب ، رجل الاسلام ، وهو في اطلالته الانسانية وفي معاناته الانسانية هو رجل العالم ورجل الانسانية .

واريد ان استعيد في مستهل هذا الحديث ما سمعناه الآن في الكلمة التوجيهية لمرجع المسلمين الشيعة في العالم (الامام الخوئي) دام ظله ، من ان علياً في اشدّ ساعات حياته ايلاماً قال «لا سلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ الاّ عليّ خاصة) التي تلخّص كما بيّنت الكلمة التوجيهية ، تلخص كل شيء في علي ، المسلمون والاسلام ، قبله وقبل حقه وقبل آله وقبل كل شيء وبعد الله . المسلمون والاسلام . هذه نقطة ، النقطة الاخرى هي اننا في هذه المناسبة وفي كل تعامل مع هذه القضية حين نكتب أو حين نفكر او حين نشعر او حين نخطب

نطلّ عليها من زوايا تحكمنا ، بعضنا يطلُّ عليها من زاوية عائلية ، بعضنا قد يطلُ عليها من زاوية قروية ، عالم في قرية أو اب في اسرة ، بعضنا قد يطل عليها من موقع أوسع ، قد يطل عليها من زاوية مذهبيّةوفي كل هذه الحالات كل واحد يطلّ عليها من عالمه الخاص ومن همه العام ومن محتواه ومن مسؤولياته وهي أكبر من ذلك كله وان كانت تستجيب لكل ضرورة من الضرورات ولكل حاجة من الحاجات ، ولكني مضطر ان اطل عليها معكم وبمشاركتكم من زاوية اعلى ، من زاوية الامة الاسلامية في عصرها الحاضر ، ربما منذ الغيبة الكبرى للامام الثاني عشر / عجل الله تعالى فرجه/ ولكن اشد الفترات توهجاً هي فترتنا هذه التي نعيشها في هذه العقود الأخيرة من السنين على مساحة العالم الاسلامي كله . من هنا في كلامي سأنظر الى هذه المسألة على ضوء المعطيات الموضوعية التي تحكم الامة الاسلامية الآن ، لا احكم هذا الشعب أو ذاك فقط وحتى لا تحكم المسلمين الشيعة اينما كانوا أو المسلمين السنة اينما كانوا وانما تحكم المسلمين جميعاً وتهدد المسلمين جميعاً، تواجه الامة الاسلامية الآن على مستويين منعطفاً خطراً وحساساً في تاريخها الحديث . **المستوى الاول : علاقتها بالخارج** ، ليس علاقة هذه الدولة أو تلك وانما علاقة الامة كلها ، علاقتها بالخارج غير المسلم ، سواء تمثّل باوروبا التي تتجه نحو التوحّد . أو علاقتها بالولايات المتحدة الامريكية وفلكها الامريكي او علاقتها بالكتلة الشرقية التي تنحل الآن وتتبعثر نحو المحور الاوروبي او نحو المحور الامريكي . **المستوى الثاني : هو علاقتها بذاتها** ، علاقة الامة الاسلامية بذاتها بما فيها من تنوع مذهبي شيعي سني وبما فيها من تنوع داخل الشيعة انفسهم او داخل السنة انفسهم او تنوعاتها العرقية والقومية داخل العالم الشيعي أو داخل العالم السني وليس من الذكاء وليس من المسؤولية وليس من الحيل التي اشارت اليها رائعة جمال الدين[1] ان نغمض اعيننا عن هذه التنوعات ، هي حقيقة نعيشها تجرحنا أو تبلسم جراحنا حقائق نعيشها ولا بد ان نلجها والغدير دخيل في جميع ثناياها ، شئنا أم أبينا اعترفنا ام جحدنا ، فمن حيث علاقتها بالخارج من حيث علاقة هذه الامة بالخارج ، يشهد العالم الآن تحولين كبيرين احدهما تغيرات اوروبا الشرقية وكما قلت من موقع المسؤولية نطل على المسألة ونتعامل معها لاننا معنيّون بالمسلمين جميعاً ، وبالعالم الاسلامي كله وفي الحركة الحيّة النابضة الآن فيه وهي ما اصطلح عليه بالصحوة الاسلامية ونسميه انبعاث الاسلام في العصر الحديث ، احدهما تغيرات اوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي وثانيهما الوحدة الاوروبية التي تنمو وستكتمل في سنة اثنتين وتسعين (١٩٩٢م) بعد اقل من اربعة وعشرين شهراً من الآن ، ربما

---

(١) اشارة الى القصيدة الغديرية الرائعة التي القاها الدكتور مصطفى جمال الدين في نفس الجلسة ، وتجدها منشورة في مكان آخر من هذا العدد .

اقل من عشرين شهراً من الآن ، وعلاقة الامة الاسلامية بهذا التحول انها كلها حتى الذين يتوهّمون انهم دخلوا في العالم الثاني أو أنهم دخلوا في العالم الاول انها كلها من العالم الثالث المستهدف والمستباح سياسياً واقتصادياً وثقافياً وهوية ومصيراً ، ومن حيث علاقتها بذاتها يشهد العالم الاسلامي ولنقل بصراحة توتراً مذهبياً بين الشيعة والسنة ، وتوتراً قومياً بين العروبة والاسلامية ، وبين الايرانية والاسلامية وبين الطورانية التركية والاسلامية . وبالاجمال بين كل انتماء عِرْقي او قومي في كلِ شعبٍ اسلامي وبين القيمةِ الجامعةِ بين الجميع وهي الاسلام . قضيةُ الانتماء قضية كبرى وقضيةُ مستويات الانتماء ودوائر الانتماء قضية كبرى تفري في كل ما نملكه من امكانات ، والتوترُ المذهبي بين الشيعية والسُّنية كان دائماً موجوداً ، وكان في كثير من الحالات مأساوياً ومُدمراً داخل كلِ شعب ، داخل كل شعب مسلم وُجد فيه الانتماءان ، الانتماء الشيعي والانتماء السُّني ، وعلى مستوى الأمة ولكنه الآن في العقود الأخيرة من السنين وخاصة في هذا العَقد الأخير يبرزُ بصورةٍ اشدَّ خطورةً على مستوى الامةِ بوجه عام بعد انطلاق الحركة الاسلامية على مستوى عالمي في تيارين احدهما شيعي ليس فيه سنة على الاطلاق ـ وانا أتكلم من الداخل انا لست مراقباً من الخارج ـ احدهما شيعي ليس فيه سنّي أو سنية على الاطلاق والآخر سني ليس فيه شيعي أو شيعية على الاطلاق وينضوي الواعون من المسلمين السنة في تنظيمات سنيّة وينضوي الواعون من الشيعة في تنظيمات شيعية ، وهذا شديد الوضوح في المجتمعات التي تتكون من التيارين المذهبيين في افغانستان مثلاً ، في لبنان مثلاً ، في العراق مثلاً ، في الباكستان مثلاً وربما في بلاد اخرى يضيق بها التعداد . وكلا التيارين الشيعي والسني يواجه الكفر والاستعمار باخلاص ، ولكنا علينا ان نعترف ان كل واحد منهما يواجه الآخر ، التيار الشيعي ومشروعَهُ ، والتيار السني ومشروعه يواجه الآخر حاملاً مشروعة الاسلامي الخاص ولا أجدُ مبرراً الآن للحديث عن المواجهات داخل كل تيار من التيارين ، بين فريق وفريق آخر ، داخل التيار الشيعي بين الشيعة انفسهم على مستوى المنافسة والمواجهة التي تصل الى حد الاحتراب ويداخل التيار السني بين السنة انفسهم في مواجهة تصل الى حد الاحتراب ، هذا همٌ آخر كبير وله موضع آخر ، هذا في التوتر المذهبي الذي يحكم الامة الاسلامية ويعطل كل فاعلية فيها ، والتوتر الآخر ، التوتر العربي الاسلامي ، والتوتر الايراني الاسلامي والتوتر التركي الطُوراني الاسلامي وتوتراتٌ عرقية اخرى تواجهُ الاطروحة الاسلامية ، هذا امر وخاصة العربي ، امر حديث العهد نسبياً . في الماضي لم يكن ، لقد غلب التيار الاسلامي على أمره في الماضي لمصلحة التيار القومي والوطني على مستوى العالم الاسلامي كله ، ايران والبهلوّية في مقابل المشروطة ، تركيا اتاتورك في مقابل تيار الخلافة ، مصر والعالم العربي في مشروع الدولة القومية او الدولة الوطنية في مشروع (سايكس بيكو) ولم يحدث العكس ابداً ، الاّ في حالة واحدة

فقط هي حالة باكستان حيث تغلّبَ الانتماء الاسلامي على الانتماء القومي والوطني ، على الانتماء الى الهندية ولكنها بكل أسف حالة تحطمت مع الاسف لمصلحة التيار القومي والوطني بانفصال البنغال وتأسيس دولة بنغلاديش، ولكن التيار الاسلامي يعود الان الى الانبعاث من جديد على مساحة العالم الاسلامي كله وهو يحقق نجاحاتٍ متوالية هنا وهناك ، من دول المسلمين والشعوب الاسلامية بعد النجاح الكبير والحاسم ان شاء الله الذي تحقق في ايران بانتصار الثورة الاسلامية وتأسيس الجمهورية الاسلامية الايرانية ، والاطروحة الاساسية للتيار الاسلامي هي العودة الى الاسلام على مستوى الشريعة بأسلمة المجتمع في مرحلة وأسلمة الدولة في مرحلة اخرى وفقاً لسياق من التفكير والفكر التنظيمي او بأسلمة الدولة رأساً بالقبض على السلطة بوسيلة القوة أو بوسيلة الديمقراطية والاختيار الشعبي وفقاً لتفكير تنظيمي آخر ، هذا المشروع في مقابل التغريب يقف في مقابل التغريب على المستوى الثقافي الحضاري باستلاب الذات الاسلامية أو تشويهها لمصلحة تقمص ذات اخرى قِيماً وثقافة وهي الذات الغربية ، وفي مقابل الهيمنة الاستعمارية على المستوى السياسي السُلطوي سواءً تمثلت بالاستعمار القديم الذي واجهته الاسلامية بالافغاني وجيله ورعيله ، وبثورة العشرين في العراق ، في المشرق وبحركات اخرى ، وبحركة الابراهيمي وابن عاشور والخطابي وغيرهم في الشمال الافريقي ، وبالحركة المشروطة في ايران (المشروطية في ايران) والحركة الاسلامية في الهند ، هذا في الماضي .

ويواجه هذه الاطروحة الاسلامية تواجه الآن الاستعمار الجديد بصيغته الامبريالية وهذه المواجهة بكلا شقيها في بعض الحالات شقها الايديولوجي الثقافي أو شقها السياسي السلطوي هي اطروحة التيار القومي على مساحة العالم الاسلامي كله متمثلاً في معظم الحركات الشعبية والثورات والانقلابات العسكرية في العالم الاسلامي وفي العالم العربي بوجه خاص . كلاهما التيار الاسلامي يواجه المشروع الغربي بايديولو جيته واسلوبه الخاص والتيارات القومية والوطنية تواجه المشروع الغربي ايضاً تواجه نفس العدو بايديولوجيتها وباساليبها الخاصة ، ولكن التوتر في العلاقة بين التيار الاسلامي في شيعيته وسُنيته وبين التيارات القومية أو الوطنية في العالم الاسلامي ، هذا التوتر يلقي بضلاله وكلكله واثقاله على حركة الامة نحو الانعتاق من اغلال الواقع الحضاري المستلب للذات والسياسي الامبريالي المتسلط . وهذا التوتر يصل دائماً في مواجهات عنيفة وبذلك يصدع ويدمرُ الجبهة الداخلية من جهة فيقلل من كفاءة المواجهة مع القوى الخارجية الامبريالية والتغريب ، ويمكّن هذه القوى من التسلل في الثغرات التي تفتحها هذه المواجهة ، وهذا ما حدث دائماً ، ويمكن للدارسين والمعنيين بتاريخ هذه المرحلة وخاصة منذ انهيار الخلافة العثمانية او السلطنة العثمانية الى الآن او منذ الغزو النابليوني لمصر او منذ تمكن شركة الهند

الشرقية من استعمار الهند ان يلاحظوا في جميع محطات التاريخ الكبرى للقرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين ان يلاحظوا هذا الواقع الاليم . هذا هو واقع حركة امتنا الاسلامية الآن وهذا هو العنصُر السياسي المتغيّر الذي يهددُ احدى مقدساتنا . في المصطلح يوجد ما نُسميه المقدس ، في الايديولوجيا ، في العقيدة المطلق ويُوجدُ ما نسميه السياسي النسبي المتغير ، هذا الواقع واقع سياسي نسبي متغير يهدد المقدس ، يهدد المطلق ، يهدد احد عناصر المعتقد وهو وحدة الامة الاسلامية بتحويلها الى شيعٍ واحزابٍ وامم وبالغاءها من التوازنات الدولية كأُمة وتحويلها الى وحدات سياسية متمايزة .

أيها السادة العلماء الفقهاء ، سادتي المفكرين كما قلت من توفيقات الله أن الفكرة التي ألقيها عليكم تلتقي مع هذه النقطة من كلمة أستاذنا الامام الخوئي : لأسَلِّمن ما سلمت أمور المسلمين ، هذا المقدس ولم يكن فيها جورٌ الاّ عليّ خاصة . هذا السياسي . واجبي ، مسؤوليتي مستنقع العنف والدم ، والتناقضات والاسى في لبنان ، وخدمتي الصغيرة المتواضعة التي أسأل الله أن يكون قد تقبلها وان يتقبل منا جميعاً في هذه الصحوة تجعلني مضطراً أن أطل على الغدير ، غدير خم من هذه الأرضية ومن هذه الخلفية . ولا أستطيع أن أتحدث عنها في المطلق ، ولا أستطيع أن أتحدث عنها كأنها شيءٌ منقطع عن الناس ، كانها شيء منقطع عن مقاومة الامة الاسلامية وعن ذل الأمة الاسلامية وعن جوع الامة الاسلامية وعن حقيقة أني أرى وأساهم في جمع صدقات العالم ، صدقات اوروبا وامريكا لجياع الامة الاسلامية ولعراة الأمة الاسلامية واني أشاهد وأتعذب أن مشردي الأمة الاسلامية من وطن الى وطن يجدون ملاذهم الأمن والاكرم في هذه البلاد أو في غير هذه البلاد ولا يجدونَ مَلاذاً في أي بقعة من بقاع وطنهم الاسلامي ، أنا مضطر وأرى تكليفي الشرعي أن أتعامل مع الغدير من هذا الواقع لأن هذا الواقع هو الغدير ، الغدير النمير الذي تحوّل الى نار الى مستنقع للقبح والدم والذل .

الغديرُ يلخّص عقيدة الشيعة ، المسلمين الشيعة الاماميين الاثني عشريين في النصّ نظرية النص ، حديث الغدير هو اختصار لمئات الأحاديث التي هي تعبيرٌ عن نظرية النص الخلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الذين اتبعوا باحسان) بلا فصل ولأنه ربما يمثل أشهر النصوص النبوية على نصب علي خليفة اماماً بعد النبي ، وهو أول امام من اثني عشر معصوماً آخرهم الامام المنتظر محمد بن الحسن العسكري عجلّ تعالى فرجه . هؤلاء الأئمة الاثنا عشر المعصومون هم الممثلون التاريخيون للامامة التي يُشترط في ثبوتها العصمة والأفضلية وهي متضمنة في العصمة ولا يُمكنُ اكتشافُها إلاّ بالنص ولا تثبت لأحد بالاختيار ولا بالعهد ولا بالتغلب ولم تَثْبُت في معتقد المسلمين الشيعة الاماميين الاثني عشريين لاحد غير هؤلاء الاثنا عشر وقد ثبت أصلُ هذه العقيدة عند المسلمين الشيعة بالدليل العقلي على أساس قاعدة اللُطف وغيرها وعلى

أساس الضرورة العقلية المحضة للمعتَقد بالاسلام كما ثبتت بأصلها وبتفاصيلها بالدليل النقلي القطعي من الكتاب والسنة . هذه العقيدة بكل وضوح وبلا خجل وبلا مداراة ، هذه العقيدة مطلقة غير نسبية بحسب الزمان وغير نسبية بحسب المكان وغير نسبية بحسب الظروف ، يُبحث فيها عادةً في علم الكلام عند الشيعة باعتبارها أصلاً من أصول الدين وهي من الثوابت في مصطلح الفكر الاسلامي ومن الضروريات في مصطلح الفقه الاسلامي ومن المقدس والمطلق في مصطلح الفكر السياسي الحديث في مقابل ما يُسمى السياسي النسبي . هذا عند الشيعة ، عند السنة الغدير لا يتضمن شيئاً مما يعتقده الشيعة فيه فهو مشكوك الصدور عند بعض ربما ومن أخبار الأحاد عند بعض آخر ربما . عند الشيعة متواتر وهو متواتر كما فحصناه بالتلمُّذ على غيرنا من المختصين فيه ، وفي صحته وضعفه كلام عند بعض ثالث بكل وضوح ، السنة هكذا يرون الغدير الذي يعتبره الشيعة عنوانَ اعتقادهم كله وفي أحسن الحالات حتى على فرض تواتره ـ لا يدل على أكثر من فضيلة لعلي عليه السلام لا تقتضي كونه خليفة للرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه الذين اتبعوه باحسان ـ ولا دلالة فيه على الاستخلاف ، والامامة الخلافة أو الخلافة الأمامة عند السنة لا تنحصر في عدد عند الشيعة تنحصر في اثني عشر معصوماً فقط ، لا تنحصر في عدد ولا يُشترط فيها العصمة ولا تشترط فيها الأفضلية وتثبت بالاختيار على أصناف ما قالوه في الاختيار وتثبت بالعهد من الخليفة الامام السابق وتثبت بالتغلب . والخلافة بما هي خلافةً عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه الذين اتبعوه باحسان ـ وليس بما هي مجردُ سُلطة . هناك اعتباران في المجتمع السياسي الاسلامي الخلافة الامامة بما هي خلافة عن النبي بما هو نبيٌ مرسلٌ ومبلغ والخلافة او الامامة بما هي سلطة سياسية محضة ، والخلافة بما هي خلافة عن النبي وليس بما هي مجرد سلطة انما تثبت بالشرع لا بالعقل عند السنة وتثبت بالعقل لا بالشرع عند الشيعة وموضوع البحث عنها عند السنة هو علم الفقه وليس علم الكلام وعند الشيعة هو علم الكلام وليس علمَ الفقه وهي عند السنة من فروع الدين شأنُها شأنُ الصلاة والصوم والحج والزكاة وبر الوالدين وقوامة الرجل على الأسرة وشأنها عند الشيعة انها من أصول الدين كالألوهية والتوحيد والنبوة والمعاد .

في علم الكلام الاشعري الخلافة ـ الامامة ، ليست من الثوابت ، وليست منَ المقدس وانما هي من المتغيرات على مستوى التطبيق في مصطلح الفكر الاسلامي وفي مصطلح الفكر السياسي الحديث هي من السياسي والنسبي وليست من المطلق والمقدس . والمحصل من النقطة الاولى والثانية أن ثمة تنافياً بالتناقض في بعض التفاصيل وبالتضاد في بعض التفاصيل بين الشيعة والسنة في مسألة الامامة ، الخلافة ، الغدير . ولنكن واقعيين ، المداراة حسنة والمجاملة حسنة ولكن الواقع يحكم علينا بأن نلامس الوقائع لأننا مسؤولون عن المسلمين الشيعةُ

وقادتهم مسؤولون عن السنة والسنة وقادتُهم مسؤولون عن الشيعة ، وقد ترتبت على هذا التنافي خلافات أخرى في العقائد وفي الفقه وفي النظرية السياسية ، وقد انعكس هذا الخلاف في الواقع التاريخي صراعاً فكرياً وسياسياً واجتماعياً ترك آثاره الدامية في التاريخ على جسم الأمة الاسلامية منذ بدأ التوتر حتى الان . ونُظِّر له في علم الكلام وفي الفقه ، ونظّر للانقسام في علم الكلام الشيعي وفي الفقه التقليدي الشيعي نُظِّر للانقسام مع السنة ، وفي علم الكلام الاشعري وفي فقه المذاهب السنيّة نُظّر للانقسام عن الشيعة وقد نظّر للانقسام الأعظم الذي حدث في الأمة منذ صُفين ولا يزال قائماً حتى الآن بين الشيعة والسنة ، هناك مقدس يلتقي عليه المسلمون جميعاً غير مقدس الامامة عند الشيعة وغير سياسيّ الخلافة عند السنّة ، هناك مقدس ثان لا خلاف فيه ، لا في علم الكلام الاشعري ولا في علم الكلام العدلي أو الشيعي ولا في الفقه السني أو الشيعي ، هناك مقدس يلتقي عليه المسلمون جميعاً ولم يتأثر موقفهم منه بنزاعهم وخلافهم في الامام وهو وحدة الأمة الاسلامية وأعني هنا بالأمة الاسلامية التكوين البشري العقيدي على أساس الاسلام ، من يحملون أصول هذا المعتقد يحيون عليها ويموتون عليها ولا أعني مصطلح الدولة ، أعني التكوين السياسي التنظيمي للأمة ، أو التكوينات السياسية التنظيمية للأمة . الأمة هي الدول وليست الدولة أو ليست الدول ، هذا المقدس وحدة الأمة هو من موضوعات علم الفقه ، لم يوضع له باب خاص في الفقه حتى الآن وان كان موضوعاً للبحث الفقهي في أبواب كثيرة ، ويجب أن يوضع له باب فقهي خاص وكما انه ليس من موضوعات علم الكلام ويجب أن تعاد صياغة علم الكلام على أساس انه وحدة الأمة أحد الاصلين الذين يبتني عليهما الاعتقادُ الاسلامي ، الجملة الأولى الاصل الاول مجموع التوحيد والنبوة والمعاد والأصل الثاني وحدة الأمة ، هذه العقيدة بوحدة الأمة انعكست على مستوى الشريعة في الفقه ، فالمسلم عند السنة والشيعة بصرف النظر عن انتمائه الكلامي له أحكام توحده مع سائر المسلمين في جميع قضايا الحياة العامة والخاصة تقريباً وفي جميع الواجبات والحقوق تقريباً ، وقد بلغ من تمسّك الشيعة بهذه الوحدة انهم ضحوا في سبيلها كثيراً منذ كلمة علي : «لأسلمن ما سلمت من أمور المسلمين ولم يكن جَورٌ الّا علي خاصة» والى الآن . ان اللازم الأعظم لعقيدة الشيعة الامامية في الامامة كما عرضها علم الكلام القائم الآن ، هو بطلان التاريخ الذي وقع خارجَ شرعية الامامة منذ أبي بكر والى آخر سلطان أو خليفة خارج هذه الشرعية بكل صراحة بطلان التاريخ الذي وقع خارج شرعية الامامة المعصومة واذا كان من شرعية لبعض فصوله فانما حصلت باجازة وإمضاء من الامام المعصوم علي بن أبي طالب على رأي من الآراء ليس بعيداً ، ولا شك في بطلان التاريخ على أساس نظرية الشيعة في الامامة طيلة عهد الامامة المعصومة الظاهرة ، أعني الى حين الغيبة الكبرى في نهاية الثلث الأول من القرن الرابع الهجري ، وهذا

لا شك فيه وكل من يقول خلافه من الشيعة فهو اما مجامل أوجاهل ولكن تعميم هذا اللازم على مطلق الزمان يقتضي استمرار بطلان التاريخ بعد الغيبة الكبرى الى حين إذن الله تعالى بظهور الامام المعصوم الثاني عشر الغائب ، كلهم خارج الشرعية السياسية عند الشيعة وهذا يقتضي على المستوى المجتمعي السياسي انتهاء المقدس والضروري المعتقدي الذي هو وحدة الأمة الاسلامية الذي يلتزم به الشيعة عقيدياً وليس فقهياً ، أصولياً وليس فرعياً . واللازم الأعظم في المقابل لعقيدة السنة في الخلافة الامامة كما عرضها علم الكلام الاشعري هو صحة وحقانية واسلامية التاريخ الذي وقع منذ وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه الذين اتبعوه باحسان والى آخر خليفة عباسي شكلي في مصر أو آخر سلطان أو خليفة عثماني على رأي شائع أيضاً بين الاسلاميين وهذا اللازم في مقابل اللازمة الشيعي تتالت نتائج هذا اللازم عند بعض فقهاء أهل السنة الى نتيجة الحكم بكفر الشيعة وخروجهم عن الاسلام ، وهي أقول لكم في التسلسل الطبيعي المنطقي للأصل لا بد أن ننتهي الى هذا الفرق ، وهذا أمر طبيعي ، وربما في التسلسل الطبيعي للاصل الشيعي أن ننتهي الى نفس الفرع أيضاً ، الى التكفير .

هذا على المستوى العقيدي والفقهي أما على المستوى السياسي التنظيمي يقتضي كون الموقع التنظيمي السياسي للشيعة خارج الشرعية السياسية عند السنة على الاطلاق ، هذا أيضاً لا شك فيه ولكن تعميم هذا اللازم كما عند الشيعة ، تعميم هذا اللازم على مطلق الزمان ومطلق المكان ومطلق الظروف يقتضي استمرار بطلان التاريخ بعد الغيبة الكبرى ، يعطل ويقتضي واقتضى بالفعل التالي ، تتالي الأصل السني ، اقتضى بالفعل على المستوي المجتمعي السياسي ضرب وحدة الأمة وانقسامها في القضية السياسية التنظيمية برمتها أعني انتهاك المقدس والضروري كما الشيعة انتهكوه ، السنة انتهكوه وكما الشيعة تتالى استنتاجهم الكلامي والفقهي الى هذا المحذور ، السنة تتالى استنتاجهم الكلامي والفقهي الى هذا المحذور أيضاً ، فلنعترف بالواقع .

ان هذا الوضع القائم الآن الذي قام دائماً في التاريخ والذي مُورس أشنع ممارسة وهو قائم الآن ودعونا من المجاملات لأننا نواجه قضية أمة ، نواجه قبورنا ، ونواجه حسابنا بين يدي الله كما الأرملة في ايران والارملة في فلسطين والارملة في أفغانستان سنيّة أو شيعية كانت ، وكما اليتيم في كل مكان من أبوين سنيين أو شيعيين كانوا بذل ومهانة وأنتم تعلمون أن أولاد المسلمين يباعون بالثمن ، فقراً وذلاً وخزياً وعاراً وسيسأل الله كل مسؤول ، كل من يدعي وصلاً بليلى سيسأله الله هذا الوضع خلق تعارضاً حقيقياً على مستوى علم الكلام وعلى مستوى علم الفقه وعلى مستوى الادارة السياسية اليومية بين مقدسين ، مقدس الامامة ومقدس وحدة الأمة ،

وحدة الأمة وقضية الامانة وقد انعكس هذا التعارض على الواقع المعاش للمسلمين على مساحة تاريخهم كله واستذكروا من أول ضربة ، من ضربة هولاكو الى الصهيونية الان انعكس هذا التعارض على الواقع المعاش للمسلمين تمزقاً بالنسبة الى الخارج ، واضطهاداً بالنسبة الى الداخل وانقساماً كان في الماضي خطراً لأنه كان يفتح الثغرات في جسم الأمة أمام العدو ولكنه الآن أشد خطراً لأن الأمة في الماضي كانت قوية وكانت في حالة هجوم منذ السرايا الأولى التي وجهها المسلمون الى فارس والى بيزنطة كانت في حالة قوة وكانت في حالة هجوم ، في حالة اقتحام وهي الان ضعيفة في حالة دفاع في أحسن الحالات «وضعها وضع الدفاع في أحسن الحالات» امّة المسلمين من طنجة الى جاكارتا وهي في الحقيقة في حالة هزيمة في بعض الحالات وحالة الأمة الآن أمام العدو ليس من حيث الهزيمة وانما من حيث تكالب الدنيا عليها ، وأذكركم بالحديث المشهور ولعله الصحيح :

«كيف بكم اذا تداعت عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة الى قصعتها ، قالوا أوَمن قلةٍ يومئذٍ يا رسول الله ؟ قال لهم لا وانما حبّ الدنيا وكراهية الموت» وحب الدنيا ربما يكون قد ساهم في بعض علم الكلام وربما يكون قد ساهم في بعض الفقه وربما دائماً استبطن حب الدنيا أشد الخطابات هياجاً الذي يخفي أشد المؤامرات انهزاماً الآن ما العمل ، هنا يأتي دور البحث عن حلٍ لهذا الاشكال الخطر في واقع الامة الآن أما الأسلوب التقليدي الذي سلكه علم الكلام الأشعري السني وعلم الكلام العدلي الشيعي في حل هذا الاشكال فيعرفه أهله . الاحتجاج على صحة الموقفين ، الكلامي السني والكلامي الشيعي والهدف تشييع أهل السنة ، إخراجهم من تسننهم وادخالهم في التشييع ، أو تسنين أهل الشيعة ، اخراجهم من تشيّعهم وإدخالهم في التسنن ألوف الكتب كتبت ولعلّه عشرات ألوف الكتب وفينا بعض المختصين الان في هذه الجلسة من العلماء ، ردود الشيعة على السنة ، وردود السنة على الشيعة منذ أول ما كتب في الامامة والى آخر كتاب على السنة ، وردود السنة على الشيعة منذ أول ما كتب في الامامة والى آخر كتاب يطبع الان في هذه البلاد أو تلك من بلاد المسلمين ولكن على مدى ما يقرب على أربعة عشر قرن لم يتسنن الشيعة ولم يتشيع السنة ، منذ صفين أو منذ ثورة الحسين ، أو منذ تمذهب المذاهب ، تمذهب المسلمين ، لم يتشيع سني إلّا على مستوى الأفراد والقناعات ولم يتسنن شيعي إلّا على مستوى الأفراد والقناعات أو بحد السيف ، وهذا تاريخ ، تركت السياسة والسياسيّون تفري وحدة الأمة بيد الحكام حتى الآن وفيكم من يعلم ، فينا من يعلم الآن أن في استيراتيجيات الأجانب ، في اوروبا الموحدة وفي العالم الأمريكي وفيما كان العالم السوفياتي ، في الاستراتيجيّات الكبرى ويعرف المتصلون بالشأن العام في هذه الايام على مستوى السياسة الدولية، في استراتيجيات الأجانب للمواجهة مع الاسلام أو السنية ، تدخل الشيعية أو السنيّة

والمسلمين دون فحص عن الهوية الشيعية أو السنية ، تدخل الشيعية والسنيّة في هذه الاستراتيجيات ، تبنى حولها الأبحاث وتوضع الخطط ، والخطط البديلة ، وبديل البديل ربما الى خمس بدائل . من داخل الايمان الشيعي يدخلون ومن داخل الايمان السني يدخلون ويذلون ويقتلون ويسيطرون ويسقط الاسلام ويسقط الغدير ، كما يدخل أيضاً وأقولها للاسلاميين أيضاً يدخل في هذه الخطط التنوع العرقي والتنوع العرقي في الشعوب الاسلامية المختلفة الأعراق ، أسلوب علم الكلام فشل حتى الآن ، وأكتفي بأن أقول فشل حتى لا أقول انه احدى أسباب هزائمنا وأعتقد أن الحل موجود ولكننا شيعة وسنة غفلنا عنه وتجاوزناه ، هذه . المشكلة واجهها أصحاب الغدير ، نحن تلاميذ الغدير ، نحن طلاب مدرسة الغدير ولكن لهذه المدرسة أساتذة هم علي بن أبي طالب وأبناءه الأحد عشر المعصومين هؤلاء هم الأساتذة هم الشمس وأقمارهم أو هم أقمار شمس محمد ـ ص ـ هذه المشكلة واجهها علي، واجهها يوم السقيفة وواجهها عند استخلاف الخليفة أبي بكر لعمر (رض) وواجهها في الشورى عند البيعة لعثمان وواجهها حينما انثال عليه الناس ليبايعوه وحاول أن يفر ولكنه خضع لارادة الأمة .

علي بن أبي طالب خضع لارادة الأمة ايها الشيعة، أعتقد أن الحل موجود عند أصحاب الغدير أنفسهم ، عند الامام علي وأبناءه الأئمة المعصومين ، فقد عالجوا هذه الاشكالية بين المقدسيّن ، هذا التعارض بين الامامة وبين وحدة الأمة وهذا التعارض بين الحق وبين الواجب ، كيف ؟ ان النظرية التي نطرحها الآن تقوم على درس عميق ، هنا أطرح مشروعاً واقتراحاً نأمل من جميع المختصين أن يتابعوه ويوسعوه ويعمقوه ويصححوه بالتالي أو يبطلوه ، ولكن ليكن له بديل وهو الحل الذي يحفظ مقدس وحدة الأمة في التاريخ وفي علم الحديث وفي الفقه وعلم الكلام الى جانب الامامة الخلافة وهي مقدس مطلق وضروري عندنا ، نحن معاشر المسلمين الشيعة الاماميين الاثني عشريين ، والى جانب وحدة الأمة الاسلامية وهي مقدس مطلق وضروري عندنا وعند سائر المسلمين توجد هناك قضية ثالثة هي قضية الدولة ، القضية التنظيمية السياسية وليس القضية العقيديّة ، قضية الحكم للأمة كلها كما هي النظرية الشائعة التي لا نوافق عليها بعد الغيبة الكبرى وهي وحدة الامامة ، أو لهذا الشعب أو ذاك من شعوب الأمة الاسلامية وهذه ليست مطلقة وليست مقدسة وليست ضرورية ، قضية تدخل في المتغير والنسبي والسياسي . والمشكلة لم تولد ، مشكلتنا بين الوحدة وبين قضية الامامة لم تولد من التعارض بين الوحدة والامامة وانما ولدت من المتعارض بين الامامة والدولة وبين الوحدة والدولة . التعارض لم يكن بين المقدسين عند أئمة أهل البيت وانما كان بين المقدس والنسبي في التاريخ ، في التاريخ وفي الفقه وعلم الكلام يأتي متأخراً .

واجه عليّ يوم وفاة رسول الله التعارض بين وحدة الأمة وبين المتغير السياسي . حينما جاءه

أبو سفيان أو غيره ورفض وواجه التعارض بين وحدة الأمة وبين السياسي حينما استخلف عمر ، وواجه التعارض بين وحدة الأمة وبين السياسي في الشورى ودائماً علي ، علي كان يخدم المقدس ويضحي بالسياسي ، حقهم هو ليس حقه . عند الشيعة الامامة لا تكون بالميراث وأئمة الشيعة المعصومين لم يتوارثوا الامامة . ليس حقهم حق الاسلام حق المقدس .

ان أئمة أهل البيت المعصومين ـ سلام الله عليهم بينوا كل شيء . بينوا المقدس، بينوا أن الامامة تعالج قضية هذا التعارض النكد والخطر على ضوء النهج الذي سنّه علي والأئمة المعصومون وفهمي القاصر توصل الى أن كثيراً مما يسمى أخبار التقية ويصنّف على أنه أخبار التقية ليس اخبار التقية وانما هو تشريعات سياسية أولية تنصب على حل التعارض في قضية الامامة بينها وبين وحدة الأمة .

موقف علي والأئمة ـ سلام الله عليهم ـ حل الاشكال دائماً . وألتمس من ساداتي واخواني العلماء ومن المشتغلين بعلم الحديث ومن المفكرين أن يعيدوا النظر بعمق في النصوص التاريخية والتشريعية الواردة في المسألة السياسية ليروا كما رأيت وأرجو أن أكون قد أصبت . وأسأل الله أن يسددنا للصواب بمنّه .

أستغفر الله وأتوب اليه واسأل الله أن يسددنا في القول والعمل .